الشيخ أحمد الطفيلي

شبهات وردود عقائدية

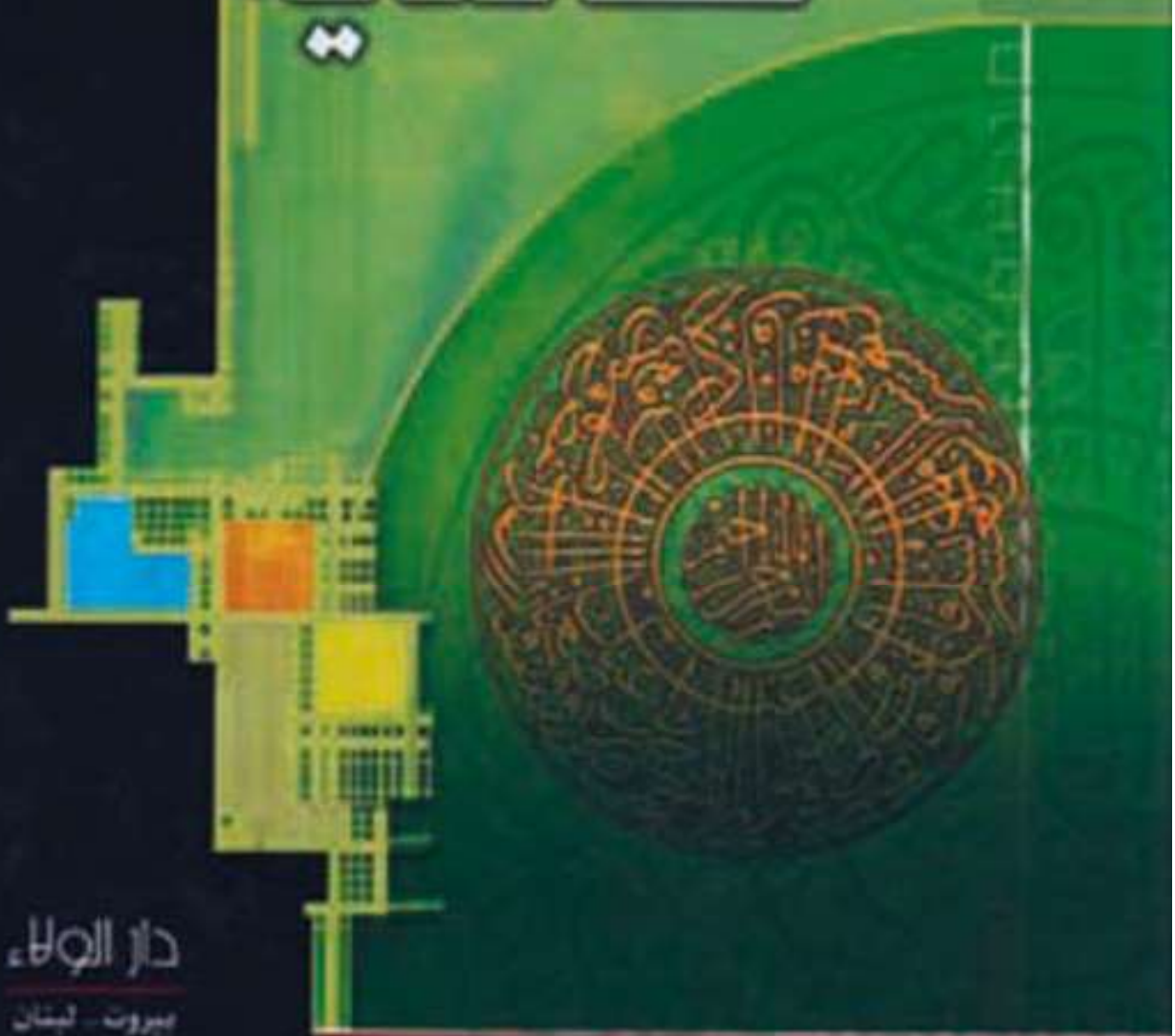

دار الولاء
بيروت - لبنان

شبهات وردود عقائدية

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: 0096114545133 - 689496 -(0)9613 ص. ب:327/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

هوية الكتاب

- الكتاب : شبهات وردود عقائدية
- المؤلف : الشيخ أحمد الطفيلي
- الناشر : دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
- الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ويعد:

طلبت مني إدارة التعليم في حوزة الإمام الخميني قدس سره كتابة شبهات وردود حول عقائد الإمامية، فلبيت الطلب وبادرت إلى الكتابة، حيث ابتلي العالم الإسلامي بهجمات عنيفة وشرسة من بعض المحسوبين على الإسلام والمسلمين أمثال ابن تيمية الذي كان قد نشر الأفكار الباطلة والمنحرفة فتصدى له علماء المذاهب والفقهاء إلى أن طُرد وحُبس وضُيّق عليه حتى مات في الحبس، وتبعه محمد بن عبد الوهاب شيخ الوهابية في هجماته على المسلمين وخاصة الشيعة الإمامية. وكان من الواجب على كل المسلمين القيام بدورهم في مواجهة هذه التيارات وتفنيد مبانيها وإظهار خطأ معتقداتها وفضح شذوذها وبُعدها عن الإسلام، أنا بدوري كواحد من طلبة العلوم الدينية في الحوزة العلمية ومن آحاد المسلمين ـ أعلى الله كلمتهم ـ رأيت من واجبي القيام بتكليفي الشرعي في صد هذا التيار التيمي والوهابي من خلال إلقاء الدروس والمحاضرات على طلبة حوزة الإمام الخميني قدس سره في دمشق، وتوعية الجيل الجديد على حقيقة هذه الدعوة

الباطلة وتحذيره مما يجري باسم الدين الحنيف وتوجيهه للقيام بمسؤوليته في الرد على مثل هذه الأفكار والدفاع عن الإسلام والحق حتى يظهر جلياً فيتمسك به المسلمون جميعاً وهذه أمنيتنا المقدسة في عصرنا عصر الحوار والتفاهم وعصر التعارف والتقارب، فلنسع لتحقيق الوحدة الإسلامية لأن عدونا الذي يريد أن يسيطر على بلادنا فينهب خيراتها ومعادنها وينشر الكفر والإلحاد ويشيع الفحشاء والفساد فيها، يسعى ليفرقنا ويباعد بيننا وذلك بنسب الأباطيل وإشاعة الأكاذيب بين المذاهب الإسلامية، فيلقي بين المسلمين العداوة والبغضاء، ولكي نعزل الأعداء ونخلع سلاحهم الفتاك (فرق تسد) يلزمنا أن نتفاهم ونتقارب ونتحد ولا يتحقق التقارب والإتحاد إلا بالتفاهم والتعارف وذلك بالحوار الإيجابي البنّاء ومناظرة العلماء بعيداً عن التعصب والعناد، ملتفين نحوحكم القرآن الكريم والسُنة القطعية والعقل السليم لاختيار أحسن القول كما أمر سبحانه في كتابه العزيز ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ...﴾[1]. إذ يلزم على المسلم الكامل والإنسان العاقل أن يكون بصيراً في دينه عالماً بأمور مذهبه، لا يقبل قولاً ولا يتمسك بشيء إلا عن دليل وبرهان حتى يصبح فيه على يقين وإذعان، فمن لم يُحقق ويُدقق في القضايا المذهبية، وارتبط بمذهب آبائه ولزم طريقة إسلامه فرأى نفسه تائهاً قد ضلّ السبيل، ولقد عبر الله الحكيم عن هذا الإنسان بالأعمى فقال: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

وهذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقيتها على طلبة المرحلة السابعة

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

والسادسة والخامسة من طلبة حوزة الإمام الخميني قدس سره في صدد جمع شمل الأمة وتوحيدها وللبرهنة على معتقدات الإمامية بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة أو المستفيضة والمقبولة عند المسلمين جميعاً، وسيلاحظ القارئ الكريم فيه أننا:

١ـ ناقشنا الأحاديث التي تعتبرها الوهابية دليلاً تعتمده وترتكز عليه فيما ترى من الرأي الباطل، وأثبتنا خطأ ما ذهبت إليه، كما أوردنا آراء علماء الرجال بصدد رواتها وأثبتنا ضعف تلك الأحاديث سنداً ودلالة حتى لا يبقى للوهابية ما ترتكز عليه من رواية وحديث.

٢ـ يمتاز هذا الكتاب عن غيره فيما أُلف في هذا المضمار بكثرة الشواهد والنصوص التاريخية لرد دعوى ابن تيمية وابن عبد الوهاب.

٣ـ اكتفينا في هذا الحقل بالمواضيع التي كثيراً ما تثيرها الوهابية كمسألة الاستغاثة بالميت وبالنبيﷺ وشد الرحال إليه لزيارة قبرهﷺ والتبرك به وبآثاره والدعاء عند القبور وبناء القبور ومسألة الشفاعة والحلف بغير الله وإقامة الاحتفالات وغيرها من المسائل التي تثيرها الوهابية.

٤ـ ثم خصّصنا في الكتاب فصولاً لدراسة نظرية البداء عند الإمامية والاستدلال عليها بالأدلة العقلية والنقلية الصحيحة كما ذكرنا بحث الإمامية وفصولها وهل هي بالنص أو بالشورى ثم أوردنا الأدلة على ذلك، ثم بحثاً خاصاً في المهدي المنتظر وذكرنا النبوة وبحوثها، ومنها عصمة الأنبياء مطلقاً بالأدلة العقلية والنقلية وكما ذكرنا شبهة اتهام الشيعة بتحريف القرآن والإجابة عليها بالأدلة العقلية والنقلية، وخصّصنا فصلاً خاصاً بإيمان أبي طالب وأثبتناه بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة أو المستفيضة أو الصحيحة،

وبحثنا نظرية عدالة الصحابة وأثبتنا أنها تتعارض مع النصوص القرآنية القطعية الدلالة والسنّة النبوية الشريفة المعتبرة.

٥ـ اقتبسنا واعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر كثيرة **أهمها**:

١ـ البيان في تفسير القرآن: لآية الله العظمى المحقق الخوئي قدس سره.

٢ـ بحث حول المهدي: للشهيد السعيد آية الله العظمى المحقق السيد محمد باقر الصدر رحمه الله.

٣ـ الإلهيات: لآية الله الشيخ جعفر سبحاني (دام ظله).

٤ـ روافد الإيمان: للعلامة الشيخ الطبسي (دام ظله).

٥ـ كشف الارتياب: للعلامة السيد محسن الأمين رحمه الله.

وفي الختام نشكر إدارة الحوزة وإدارة شؤون التعليم واللجنة العلمية لما أتحفونا بملاحظاتهم القيّمة، فلهم منا جزيل الشكر والاحترام، هذا ونحمد الله تعالى على هذا التوفيق إنه ولي النعم.

تم الفراغ منه في اليوم الخامس من جُمادى الأولى في سنة أربع وعشرين وأربعمائة بعد الألف للهجرة النبوية الشريفة والموافق يوم ولادة عقيلة الهاشميين بطلة كربلاء زينب الكبرى سلام الله عليها.

الشيخ أحمد الطفيلي

٥/جُمادى الأولى ١٤٢٧هـ

الفصل الثامن عشر

الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف

في العقل والكتاب والسُنة

البحث الأول: فكرة المهدي وجذورها في التاريخ

البحث الثاني: المهدي (عليه السلام) من الفكرة إلى الواقع

البحث الثالث: الإمام المنتظر في العقل والكتاب والسُنّة

البحث الرابع: تساؤلات حول المهدي (عليه السلام)

البحث الخامس: ما هي علائم ظهوره؟

البحث الأول:

فكرة المهدي وجذورها في التاريخ:

ليس المهدي تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تُحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي، استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب بل أمتد إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى أشد النظريات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب كالمادية الجدلية التي فسرت التأريخ على أساس التناقضات وآمنت بيوم موعود تُصفّي فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الإنسانية على مر الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان[1].

وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكد أن الأرض في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً[2].

يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوله إلى إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانية، وهذا الإيمان ليس مجرد للسلوه والعزاء مصدر

---

(١) بحث حول المهدي للشهيد السعيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر صفحة ١٠.

(٢) سنن أبي دواد ٢٠٧/٢، التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصف ٣٤٣/٥.

بل مصدر عطاء لأن الإيمان بالمهدي عليه السلام إيمان يرفض الظلم والجور وهو مصدر قوة أيضاً لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الانسان ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما أظلمت الدنيا وازداد الظلم لأن اليوم الموعود يثبت أنّ بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور وان الظلم مهما امتد في العالم لا بد أن ينهزم.

البحث الثاني:

المهدي من الفكرة إلى الواقع:

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الاسلام وأوسع منه فإن معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكل الطموحات التي أنشدّت إلى هذه الفكرة منذ فجر التأريخ الديني، وأغنى عطاء وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مر التاريخ وذلك لأن السلام حوّل فكرة المهدي من الغيب إلى الواقع، ومن التطلّع إلى منقذ فعلاً، فلم يعد المهدي فكرة ننتظر ولادتها بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته وإنساناً يعيش بيننا بلحمه ودمه ويعيش مع آمالنا وآلامنا، ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين وظلم الظالمين.

البحث الثالث

الإمام المنتظر في الكتاب والسنة:

إن الاعتقاد بالإمام المنتظر، مهدي هذه الأمة، لما كان أصلاً رصيناً في أبحاث الإمامة للشيعة وكان الاعتقاد به أمراً مشتركاً بين طوائف المسلمين، رجحنا إلقاء الضوء على هذا الأصل على وجه الإجمال في الكتاب والسنة فنقول: كل من كان له إلمام بالحديث يقف على تواتر البشارة عن النبي وآله وأصحابه بظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم والجور ونشر العدل وإعلاء كلمة الحق وإظهار الدين كله ولو كره المشركون فهو بإذن الله تعالى ينجي العالم من ذل الظلم ومن ذل العبودية لغير الله ويلغي الأخلاق والعادات السيئة ويقطع أواصر التعصبات القومية والعنصرية ويميت أسباب العداوة والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأمة وافتراق الكلمة واشتعال نيران الفتن والمنازعات، ويحقق الله تعالى بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

(١) سورة النور الآية (٥٥).

٢ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[١].

٣ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٢].

ويأتي عصر ذهبي لا يبقى فيه على الأرض بيت إلا دخلته كلمة الإسلام ولا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة (لا إله إلا الله) بكرة وعشياً.

وهناك آيات كثيرة ولكن نكتفي بما ذكرناه وإليك بعض الأحاديث المتواترة في الإمام المنتظر عليه السلام:

١ـ وقد تضافر مضمون قول الرسول الأعظم ﷺ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»**[٣].

٢ـ أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»**[٤].

٣ـ أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»**[٥].

---

(١) سورة القصص الآية (٥).

(٢) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(٣) لاحظ مسند أحمد ٩٩/١ وراجع الإلهيات للسبحاني ١٣٤/٢.

(٤) جامع الأصول ٤٨/١١.

(٥) جامع الأصول ٤٩/١١ والروايات التي تدل على أن المهدي من ولد فاطمة عددها ١٩٢ رواية، راجع الكتب ومنها الإلهيات للسبحاني ١٣٣/٢.

البحث الرابع

أسئلة حول المهدي المنتظر عليه السلام

ذكروا أسئلة حول حياته وإمامته (عجل الله فرجه)، نذكر أهمها:

١ـ الإمام المهدي وطول عمره:

إن الناس يتساءلون، إذا كان المهدي يعبّر عن إنسان حي عاصر كل هذه الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من عشرة قرون وسيظل يعاصر امتداداتها إلى أن يظهر على الساحة فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يعيش هذا العمر الطويل وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل إنسان أن يمر بمرحلة الشيخوخة في وقت سابق على ذلك جداً.

٢ـ ويتساءلون أيضاً: لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه على هذا الإنسان بالذات؟ فهل عقمت البشرية عن إنتاج القادة الأكفاء؟

٢ـ ويتساءلون أيضاً: إذا كان المهدي اسما لشخص محدد هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت الذي ولد سنة ٢٥٦هـ[١].

وتوفي أبوه سنة ٢٦٠هـ[٢] فهذا يعني أنه كان طفلاً صغيراً عند موت أبيه لا يتجاوز خمس سنوات وهي لا تكفي للمرور بمرحلة أعداد فكري وديني كامل على يد أبيه فكيف وبأي طريقة يكتمل إعداد هذا الشخص

---

(١) كمال الدين ٤٣٢.

(٢) أصول الكافي ١/ ٥١٤.

لممارسة دوره الكبير دينياً وعلمياً وفكرياً؟

٤ـ ويتساءلون أيضاً: إذا كان القائد جاهزاً فلماذا كل هذا الانتظار الطويل مئات السنين أوليس في ما شهده العالم من المحن والكوارث الاجتماعية ما يبرر ظهوره على الساحة وإقامة العدل الأرض؟

٥ـ ويتساءلون أيضاً كيف نستطيع أن نؤمن بوجود المهدي حتى لو افترضنا أن هذا ممكن؟

٦ـ ويتساءلون أيضاً بالنسبة إلى ما أعدّ له هذا الفرد من دور في اليوم الموعود وبمعنى آخر هل للفرد كل هذا الدور؟

٧ـ ويتساءلون أيضاً: ما هي الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتم على يد ذلك الفرد من تحول هائل وانتصار حاسم للعدل ورسالة العدل؟

٧ـ ويتساءلون أيضاً: كيف يكون إماماً وهو غائب.؟

٨ـ ويتساءلون أيضاً: لماذا غاب المهدي (عجل الله فرجه).؟

٩ـ ويتساءلون ما هي علائم ظهوره؟

١٠ـ ويتساءلون ما هي الأمور التمهيدية لظهوره؟

الأجوبة:

عن السؤال الأول:

١ـ كيف يمكن للإمام المهدي (عليه السلام) هذا العمر الطويل؟

*** إمكانية العمر الطويل للإنسان:**

ويتساءلون هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومئة وخمسين سنة؟ وكلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العملي والإمكان العلمي والإمكان المنطقي أو الفلسفي. وأقصد بالإمكان العملي: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يُتاح لي أو لك أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه فالوصول إلى قاع البحر والصعود إلى القمر أصبح لها إمكان عملي ولا يوجد في الإمكان ما يرفض وقوعه.

وأقصد بالإمكان العلمي: أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان على كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه وأما يرفض وقوعه هو الصعود إلى قرص الشمس فإنه غير ممكن علمياً. إذ لا يتصور علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس.

وأما الإمكان المنطقي أو الفلسفي: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته. فوجود ثلاثة برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين

ليس له إمكان منطقي، لأن العقل يدرك أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض والتناقض مستحيل منطقياً ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية إذ لا تناقض في افتراض أنّ الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة وإنما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الاقل حرارة إلى أن يتساوي الجسمان في الحرارة فيبدأ بالاحتراق وهكذا يكون الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الامكان العلمي وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي. ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً. وأما الإمكان العلمي فلا يوجد عالماً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان عبر طريق طويل.

وبعد توضيح معنى الامكان المنطقي والعلمي والعملي نعود إلى السؤال هل يمكن في منطق العلم أن يعيش المهدي (عج) هذا العمر الطويل.

والجواب من وجهين نقضاً وحلاً:

أما النقض، فقد دل الذكر الحكيم على أن شيخ الأنبياء نبي الله نوح عليه السلام عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]. وقد تضمنت التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

أسماء جماعة كثيرة من المعمرين منهم آدم وشيث ونوح وغيرهم، فآدم عاش ألفين وثلاثمائة وخمسين سنة، فلماذا نقبل آدم ونوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟

وأما الحل، فإن السؤال عن إمكان طول العمر يعرب عن عدم التعرف على سعة قدرة الله سبحانه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] فإنه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه فأي مشكلة في أن يمد الله سبحانه في عمره ما شاء ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء؟

*** المعجزة والعمر الطويل:**

وقد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممكن منطقياً وعلمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأن قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطّها الطويل أن تتغلب عليه، فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن إطالة عمر الإنسان كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعددة هي خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة،حتى يتساويا وقد عطل الله تعالى هذا القانون لحماية حياة إبراهيم حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون فقيل للنار

(١) سورة الانعام: الاية ٩١.

حين ألقي فيها إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[١].

فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عُطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففُلق البحر لموسى[٢]، وشُبّه للرومان أنهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قد قبضوا عليه.

وخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم[٣] كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين المعطلة من قبله تعالى لأجل الحفاظ على حياة الإمام المهدي عليه السلام. وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام. وهو أنه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي. وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أعد لها تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك.

وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أُعد لها ربانياً، فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

(٢) قال تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ الشعراء: الآية (٦٣)

وقال تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ النساء: ١٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ١٢٧/٢.

الجواب عن السؤال الثاني

*** لماذا كل هذا الحرص على إطالة عمره؟**

ونتناول الآن السؤال الثاني وهو يقول: لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان بالذات فتعطّل من أجله القوانين الطبيعية لإطالة عمره؟

ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل وتنضجه إرهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر؟

وبكلمة أخرى: ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة؟ وما المبرر لها؟

الجواب: يمكننا أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدخر عاملاً من عوامل إنجاحها وتمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر وذلك لعدة أسباب منها ما يلي:

أولاً: العمر الطويل ودوره في إنجاح القائد:

إن عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها، مشحوناً بالشعور بالتفوق والإحساس بضآلة الكيانات التي أُعد للقضاء عليها وتحويلها حضارياً إلى عالم جديد، ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم ملئ بالظلم وبالجور تغييراً شاملاً بكلّ قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم، فالشخص الذي عاش الدنيا ورأى الحضارات الكبيرة التي سادت العالم الواحدة تلو الأخرى ثم تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في

كتاب تأريخ. ثم رأى الحضارة التي يقدر لها أن تكون الفصل الأخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة وقد بدأت تنمووتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة أخرى ثم واكبها وهي تزدهر وتسيطر بالتدريج على مقدرات عالم بكامله[1]، فإن شخصاً من هذا القبيل عاش كل هذه المراحل بفطنه وانتباه أفضل من إنسان يولد جديد ليس له اطلاع وخبره بمعنى كلما تطول خبرته يكون أفضل من إنسان جديد.

ثانياً: الإعداد الفكري والقيادي لليوم الموعود:

أضف إلى ذلك أن التجربة التي تُتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لها أثر كبير في الاعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود.

لأنها تضع الشخص المدّخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيها من نقاط الضعف والقوة ومن ألوان الخطأ والصواب وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقويم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها وكل ملابساتها التأريخية.

فلكي يُضمن عدم تأثر القائد المدّخَر بالحضارة التي أُعد لاستبدالها لا بد أن تكون شخصيته قد بُنيت بناء كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العامة ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته.

---

(١) بحث حول المهدي للعلامة الشهيد السعيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر قدس سره ص٣٢.

٣ـ كيف أكتمل إعداد القائم المنتظر(عجل الله فرجه)؟

ونأتي الآن إلى السؤال الثالث القائل: كيف أكتمل إعداد القائد المنتظر مع أنه لم يعاصر أباه الإمام العسكري إلا خمس سنوات تقريباً؟ وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لإنضاج شخصية القائد فما هي الظروف التي تكامل من خلالها؟

• ظاهرة الإمامة المبكرة في حياة أهل البيت

والجواب: أن المهدي(عليه السلام) خلف أباه في إمامة المسلمين وهذا يعني أنه كان إماماً بكل ما في الإمامة من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة.

والإمامة المبكرة ظاهرة سبقه إليها عدد من آبائه(عليهم السلام) فالإمام محمد بن علي الجواد(عليه السلام) تولى الإمامة وهو في الثامنة من عمره والإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) تولى الإمامة وهو في التاسعة من عمره.

والإمام أبو محمد الحسن العسكري(عليه السلام) تولى الإمامة وهو في الثانية والعشرين من عمره[1].

إن ظاهرة الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام لأن الإمام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماماً روحياً وفكرياً للمسلمين ويدين له بالولاء والإمام في كل ذلك التيار الواسع، لا بد أن يكون على قدر واضح وملحوظ بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الافق والتمكن من الفقه والتفسير والعقائد لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بإمامته، فهل ترى أن صبياً

---

(١) راجع التتمة في تواريخ الأئمة ص٩٨ وصفحة ١٠٢ وصفحة ١٠٦.

يدعوإلى إمامة نفسه وينصب منها علماً للإسلام وهو على مرأى ومسمع من جماهير شعبية، فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلف نفسها اكتشاف حاله وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الإمامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقويم هذا الصبي الإمام؟ وهب أن الناس لم يتحركوا لاستطلاع المواقف، فهل يمكن أن تمرّ المسألة أياماً وشهوراً بل أعواما دون أن تتكشف الحقيقة على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبي الإمام وسائر الناس؟

وهل من المعقول أن يكون صبياً في فكره وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل؟

وإذا افترضنا أن الجماهير الشعبية لإمامة أهل البيت لم يُتح لها أن تكتشف واقع الأمر فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الإمام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان، وما كان أنجحه من أسلوب أن تقدم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته، وتبرهن على عدم كفاءته للإمامة والزعامة الروحية والفكرية، فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخصٍ في الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلّم الإمامة فليس هناك صعوبة في الإقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهما كان ذكياً وفطناً للإمامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة وكان هذا أسهل وأيسر للقضاء عليه وعلى شيعته من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ.

إن التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة هو أنها أدركت أن الإمامة المبكرة ظاهرة حقيقته وليست شيئاً مصطنعاً. هذا

بالإضافة إلى أن التأريخ لم يحدثنا إطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الإمامة المبكرة أو واجه فيه الصبي الإمام إحراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه وهذا معنى ما قلناه من أن الإمامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت عليهم السلام وليست مجرد افتراض.

• الإمامة المبكرة في رسالات السماء:

كما أن هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتد عبر الرسالات والزعامات الربانية ويكفي مثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة في التراث الرباني لأهل البيت عليهم السلام يحيى عليه السلام إذ قال الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾[1] ومتى ثبت أن الإمامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة فعلاً في حياة أهل البيت لم يُعد هناك اعتراض فيما يخص إمامة المهدي (عجل الله فرجه) وخلافته لأبيه وهو صغير.

• كيف نؤمن بأنّ المهدي قد وُجد؟

٤ـ ونصل الآن إلى السؤال الرابع وهو يقول:

هب أن فرضية القائد المنتظر ممكنة بكل ما تستبطنه من عمر طويل وإمامة مبكرة وغيبة صامته فإن الإمكان لا يكفي للاقتناع بوجوده فعلاً فكيف نؤمن فعلاً بوجود المهدي؟ وهل تكفي بضع روايات تُنقل في بطون الكتب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للاقتناع الكامل بالإمام الثاني عشر على الرغم مما في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف؟ بل كيف يمكن أن نثبت أن للمهدي وجوداً تاريخياً حقاً وليس مجرد افتراض؟

---

(١) سورة مريم: الآية ١٢.

تضافر الروايات على فكرة الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

والجواب: أن فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الافضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك، وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي من طريق إخواننا أهل السنة[1] كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية[2] وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الاسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادةً.

الدليل على تجسيد الفكرة في الإمام الثاني عشر (عجل الله فرجه):

وأما تجسيد هذه الفكرة في الإمام الثاني عشر عليه السلام فهذا ما توجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به.

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين:

أحدهما إسلامي والآخر علمي.

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر وبالدليل العلمي نبرهن على أن المهدي ليس مجرد أسطورة وافتراض، بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التأريخية.

أما الدليل الإسلامي:

فيتمثل في مئات الروايات الواردة عن الرسول الأكرم والأئمة من أهل

---

(١) المهدي للسيد صدر الدين الصدر ص ١٥٤.

(٢) منتخب الأثر: ص ٥٨ ـ ٢٠٧.

البيت والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهل البيت ومن ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وأنه التاسع من ولد الحسين وأن الخلفاء اثنا عشر[١].

وهذه الروايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها بل هناك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها فالحديث النبوي الشريف على الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده وأنهم أثنا عشر إماماً أو خليفة أو أميراً على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ـ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته: فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري[٢] ومسلم[٣] والترمذي[٤] وأبي داود[٥] ومسند أحمد[٦] ومستدرك الحاكم على الصحيحين[٧] ويلاحظ هنا: أن البخاري الذي نقل الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري، وفي ذلك مغزى كبير: لأنه يبرهن على أن هذا الحديث قد تسجل عن النبي الأكرم قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً وهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له. لأن الأحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبي الأكرم وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في

(١) منتخب الأثر: ص٢٠٤ـ٢٠٧.
(٢) صحيح البخاري ٧٥/٤.
(٣) صحيح مسلم ١٩١/٢.
(٤) صحيح الترمذي ٤٥/٢.
(٥) سنن أبي داود ٢٠٧/٢.
(٦) مسند أحمد ١٠٦٧٥.
(٧) مستدرك الحاكم ٦١٨/٣.

ظهورها وتسجيلها في كتب فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على أن الحديث المذكور سبق التسلسل التأريخ للأئمة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى فقال ﷺ: **«إن الخلفاء بعدي اثنا عشر»**[1] وجاء الواقع الإمامي الاثني عشري ابتداء من الإمام علي وانتهاءً بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف.

وأما الدليل العملي: فهو يتكوّن من تجربة عاشتها أمة من الناس فترةً امتدت سبعين سنة تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى فهل تتصور بربك أن بإمكان أكذوبة أن تعيش سبعين عاماً ويمارسها أربعة نواب على سبيل الترتيب هم:

١ـ عثمان بن سعيد العمري (توفي سنة ٢٨٧ هـ).

٢ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري (توفي سنة ٣٠٥ هـ).

٣ـ أبو القاسم الحسين بن روح (توفي سنة ٣٢٦ هـ).

٤ـ أبو الحسن علي بن محمد السمري، توفي سنة ٣٢٩هـ أجمعت الشيعة على تقواهم، ويظلّون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يصدر منهم أي شيء يثير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تُتيح لهم نحواً من التواطؤ ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكم من واقعية ثقة الجميع وإيمانهم بواقعية القضية التي يدّعون أنهم يحسّونها ويعيشون معها؟

---

(١) صحيح البخاري ٧٥/٤.

وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لاثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالإمام القائد بولادته وحياته وغيبته وإعلانه عن الغيبة الكبرى.

لماذا لم يظهر القائد(عجل الله فرجه) إذن؟

٥ـ ونصل إلى السؤال الخامس وهو يقول:

لماذا لم يظهر القائد إذن طيلة هذه الفترة؟

وإذا كان قد أعد نفسه للعمل الاجتماعي فما الذي منعه عن الظهور على المسرح في فترة الغيبة الصغرى أو في أعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى؟

• الظروف الموضوعية وأثرها في التغيير الاجتماعي:

والجواب: أن كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتأتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف. وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض بأنها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية، لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية ومن صنع السماء، لا من صنع الظروف الموضوعية ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويترتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السماء خمسة قرون من الجاهلية حتى أنزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمد(صلى الله عليه وآله) لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجة العالم إليها منذ فترة طويلة قبل ذلك فمثلاً فبالنسبة إلى عملية التغيير التي قادها (لينين) في روسيا بنجاح كانت ترتبط بعامل

من قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وتضعضع القيصرية وهذا ما يساهم في إيجاد المناخ المناسب لعملية التغيير وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لها تحويلاً ـ في عمليات التغيير الرباني على التقيّد من الناحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير، ومن هنا لم يأتِ الإسلام إلا بعد فترة من الرسل وفراغ طويل استمر قروناً من الزمن.

فعلى الرغم من قدرة الله سبحانه وتعالى على تذليل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربانية وخلق المُناخ المناسب لها سلفاً بالإعجاز لم يشأ أن يستعمل هذا الأسلوب، لأن الامتحان والمعاناة التي من خلالها يتكامل الإنسان يفرض على العمل التغييري الرباني أن يكون طبيعياً وموضوعياً من هذه الناحية، وهذا لا يمنع من تدخل الله سبحانه أحياناً فيما يخص بعض التفاصيل التي لا تكوّن المناخ المناسب وإنما قد يتطلب أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب وإمداداته وعناياته الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجه فيحمي بها الرسالة، وإذا بنار نمرود تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم[1] وإذا بيد اليهودي الغادر التي ارتفعت بالسيف على رأس النبي الأكرم تشل وتفقد قدرتها على الحركة[2]، وإذا بعاصفة قوية تجتاح مخيمات الكفار والمشركين الذين أحدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب[3].

---

(١) انظر قوله تعالى (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) سورة الأنبياء آية (٦٩).

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣/٢، البحار للمجلسي ٤٧/١٨ ــ ٧٥ باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله.

(٣) تاريخ الطبري ٢٤٤/٢، حوادث السنة الخامسة من الهجرة.

• موقف الإمام المهدي(عليه السلام) من الظروف الموضوعية:

وعلى هذا الضوء ندرس موقف الإمام المهدي لنجد أن عملية التغيير التي أُعدّ لها ترتبط من الناحية التنفيذية بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها، ومن هنا كان من الطبيعي أن تحدد وفقاً لذلك، ومن المعلوم أن المهدي لم يكن قد أعد نفسه لعمل اجتماعي محدود ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذلك، لأن رسالته تغيير العالم تغييراً شاملاً، وإخراج البشرية من ظلمات الجور إلى نور العدل، وعملية التغيير الكبرى هذه لا يكفي في ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح وإلا لتمّت شروطها في عصر النبوة بالذات، وإنما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية. فمن الناحية البشرية يعتبر شعور إنسان الحضارة بالنفاد عاملاً أساسياً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة، وهذا الشعور بالنفاد يتكون ويترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوّعة التي يخرج منها إنسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنى مدركاً حاجته إلى العون بتركها، متلفتاً بفطرته إلى الغيب ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على إنجاز الرسالة على صعيد العالم كله، وذلك بما تحققه من تقريب المسافات، والقدرة الكبيرة على التفاعل بين الشعوب، وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة. فنتيجة عدم ظهور القائد مستلزم ملائمة الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير الكبرى من الناحية البشرية والمادية، إذن تتعلق بالظروف الاجتماعية ومناسبتها للتغيير والظهور.

• هل للفرد كلّ هذا الدور؟

٦ـ ونصل إلى السؤال السادس وهو السؤال الذي يقول هل للفرد مهما كان عظيماً القدرة على إنجاز هذا الدور العظيم؟ وهل الفرد العظيم إلا ذلك الإنسان الذي ترشحه الظروف ليكون واجهةً لها في تحقيق حركتها؟ والفكرة في هذا السؤال ترتبط بوجهة نظر معينة للتأريخ تفسره على أساس أن الإنسان عامل ثانوي فيه، والقوى الموضوعية المحيطة به هي العامل الأساسي، وفي إطار ذلك لن يكون الفرد في أفضل الأحوال إلا التعبير الذكي عن اتجاه هذا العامل الأساسي.

إن التاريخ يحتوي على قطبين[1]:

أحدهما الإنسان والآخر القوى المادية المحيطة به، وكما تؤثر القوى المادية وظروف الانتاج في الإنسان، يؤثر الإنسان فيما حوله من قوى وظروف، فالإنسان والمادة يتفاعلان على مر الزمن، وفي هذه الاطار بإمكان الفرد أن يكون أكبر من القوى المادية في تيار التأريخ وبخاصة حين نُدخل الحساب عامل الصلة بين هذا الفرد والسماء، فإن هذا الصلة تدخل حينئذ كقوة موجهة لحركة التأريخ وهذا ما تحقق في تأريخ النبوات وبوجه خاص في تأريخ نبوة خاتم الأنبياء، فإنّ النبي محمداً ﷺ بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلم بنفسه زمام الحركة التأريخية. وأنشأ مداً حضارياً لم يكن بإمكان الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به أن تتمخض عنه. بحال من الأحوال، وما أمكن أن يقع على يد الرسول الأعظم يمكن أن يقع على يد القائد المنتظر الذي بشر به وعن دوره العظيم.

---

(١) بحث حول المهدي (عج) للعلامة الشهيد محمد باقر الصدر صفحة ٤٣.

٧ـ طريقة التغيير في اليوم الموعود؟

ونصل إلى السؤال السابع وهو ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود؟

وبعبارة أخرى ما هي الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتم على يد ذلك الفرد من انتصار حاسم للعدل وقضاء على كيانات الظلم والجور.

والجواب: يرتبط بمعرفة الوقت والمرحلة التي يُقدّر للإمام المهدي(عليه السلام) أن يظهر فيها على المسرح وإمكان افتراض ما تتميّز به تلك المرحلة من خصائص وملابسات وما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبؤ العلمي بما سيقع في اليوم الموعود.

وهناك افتراض أساسي واحد بالإمكان قبوله على ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه والتجارب التي لوحظت لعمليات التغيير الكبرى في التأريخ وهو افتراض ظهور المهدي (عليه السلام) في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة، وذلك الفراغ يُتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتد وهذه النكسة تهيئ الجوالنفسي لقبولها.

وليست هذه النكسة مجرد حادثة تقع صدفة في تأريخ الحضارة الإنسانية، وإنما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التأريخ المنقطع عن الله تعالى التي لا تجد لها في نهاية المطاف حلا حاسماً، فتشتعل النار التي لا تبقى ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة ليطفئ النار ويقيم على الأرض عدل السماء.

٨ـ ونصل إلى السؤال الثامن وهو:

السؤال الثامن: لماذا غاب المهدي (ﷺ)؟

إن ظهور الإمام بين الناس، يترتب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمان الغيبة فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الاستفادة من وجوده، وما هي المصلحة التي أخفته عن أعين الناس؟

الجواب: إن هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل.

أما النقض: فإن قصور عقولنا عن إدراك أسباب غيبته، لا يجرنا إلى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور إفهامنا أولى من رد الروايات المتواترة بل هو المتعين.

وأما الحل: فإن أسباب غيبته واضحة لمن أمعنَ النظر فيما ورد حولها من الروايات، فإن الإمام المهدي (ﷺ) هو آخر الأئمة الاثني عشر الذين وعد بهم الرسول وجعل عزة الإسلام بهم، ومن المعلوم أن الحكومات الاسلامية لم تقدِّرهم بل كانت لهم بالمرصاد، تلقيهم في السجون وتريق دماءهم الطاهرة بالسيف والسم، فلو كان ظاهراً لأقدموا على قتله، فلأجل ذلك اقتضت المصلحة أن يكون مستوراً عن أعين الناس، يراهم ويرونه ولكن لا يعرفونه إلى أن تقتضي إرادة الله تعالى ظهوره بعد حصول استعداد خاص في العالم لقبوله والانضواء تحت لواء طاعته حتى يحقق الله تعالى به ما وعد به الامم جمعاء من توريث الأرض للمستضعفين وقد ورد في بعض الروايات إشارة إلى هذه النكتة، روى زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت ولم؟ قال: يخاف قال زرارة: يعني القتل وفي رواية أخرى يخاف على نفسه الذبح (انظر كمال الدين صفحة ٢٨١، الباب ٤٤) وليست غيبة الإمام المهدي (ﷺ) بدْعاً في تاريخ

الأولياء فهذا موسى بن عمران قد غاب عن قومه أربعين عاماً وكان نبياً وهذا يونس قد غاب عن قومه في الظلمات فغيبة الإمام لها فوائد بقوله(عليه السلام) إلى بعض نوابه: «**وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب**»[1].

٩ـ ونصل إلى السؤال التاسع وهو:

*** ما هي علائم ظهوره؟**

إذا كان للإمام الغائب ظهوراً بعد غيبة طويلة، فلا بد من أن يكون لظهوره علائم وشروط، تخبر عن ظهوره فما هي هذه العلائم؟

الجواب: إن ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين[2]:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنوالقيامة وقسم آخر ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر وهو عبارة عن أمور عدة منها:

١ـ النداء في السماء.

٢ـ الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣ـ الشقاق والنفاق في المجتمع.

٤ـ ذيوع الجور وشيوع الظلم والهرج والمرج في الأمة.

٥ـ ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض (بمعنى بالقتل والمرض).

---

(١) كمال الدين للصدوق صفحة ٤٨٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، والغيبة للسيد محمد الصدر ٢٠٤/١، والإلهيات للشيخ السبحاني ج٣ صفحة ١٥٢.

٦ـ قتل النفس الزكية.

٧ـ خروج الدجال.

٨ـ خروج السفياني.

وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية[١].

ما هي الأمور التمهيدية لظهور الإمام المهدي (ﷺ)؟

١٠ـ ونصل إلى السؤال العاشر وهو ما هي الأمور التمهيدية لظهوره والتي تسهل تحقيق أهدافه؟

الجواب: نشير باختصار إلى أبرز هذه الأمور التمهيدية لظهوره والتي تسهل تحقيق أهداف الإمام المنتظر

(راجع الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل للشيخ حسن العاملي، تقريرات آية الله السبحاني ص ١٥٢)

أبرز وأهم هذه الأمور التمهيدية:ـ

١ـ الاستعداد العالمي: والمراد منه أن المجتمع الإنساني ـ بسبب شيوع الفساد ـ يصل إلى حد يقنط معه من تحقق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يذعن ويقر بأن الإصلاح لا يتحقق إلا بظهور إعجاز إلهي وحضور قوة غيبية، تدمر كل تلك المجتمعات البشرية الفاسدة.

---

(١) راجع كتاب المهدي للسيد صدر الدين الصدر، ومنتخب الأثر صفحة ٤٢٤ ـ ٤٦٢ وبحار الأنوار ج٥٢ صفحة ١٨١ ـ ٣٠٨.

٢ـ تكامل العقول: إن الحكومة العالمية للإمام المهدي (عجل الله فرجه) لا تحقق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنما تحقق برغبة الناس إليها وتأييدهم لها، وهذا التأييد لهذه العملية والتغيرية الكبرى غلا بعد تكامل عقول أغلب الناس ومعرفتهم.

ويُؤيد ذلك ما ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، فيقول الإمام الباقر في حديث له يرشد فيه إلى أنه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: **«إذا قام قائمنا، وضع الله يده على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم»**[1].

فقوله عليه السلام: يجمع بها عقولهم بمعنى أن التكامل الاجتماعي يبلغ بالبشر إلى الحد الذي يقبل فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصد للثورة على الإمام والانقلاب عليه.

٣ـ تكامل الصناعات: إن الحكومة العالمية الموحدة لا تتحقق إلا بتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كله صوته ونداءه وتعاليمه وقوانينه في يوم واحد وزمن واحد.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق، يرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»**[2].

٤ـ الجيش الثوري العالمي: إن حكومة المهدي (عجل الله فرجه)، وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة التي بقيادته لا تستغني عن جيش

---

(١) منتخب الأثر ص٤٨٣.

(٢) منتخب الأثر ص٤٨٣.

فدائي ثائر وفعّال، يُمهد الطريق للإمام (ﷺ)، ويواكبه بعد الظهور إلى تحقق أهدافه وغاياته المتوخاة.

إلى هنا تم البحث عن الإمامة والإمام المهدي (ﷺ) بالصورة التي تلائم العصر وكان التركيز فيه على أهم الموضوعات، وتركنا البحث عن غيرها إلى الكتب المُعدّة لها[1].

(١) راجع كتاب الغيبة للسيد محمد صادق الصدر.

البحث الثالث: السُنة النبوية والأئمة الاثنا عشر..... ٣٢٤
البحث الرابع: عصمة الإمام في القرآن..... ٣٢٦
ـ شبهات حول آية التطهير..... ٣٣٢
البحث الخامس: الإمام أفضل الصحابة..... ٣٤٠
البحث السادس: بحث في إمامة باقي الأئمة عليهم السلام..... ٣٤٧
* **الفصل الثامن عشر: في الإمام المنتظر** (عج)..... ٣٥١
البحث الأول: فكرة المهدي وجذورها في التاريخ..... ٣٥٣
البحث الثاني: المهدي (عج) من الفكرة إلى الواقع..... ٣٥٥
البحث الثالث: الإمام المنتظر في العقل والكتاب والسنة..... ٣٥٦
البحث الرابع: تساؤلات حول المهدي (عج) منها:..... ٣٥٨
١ـ كيف يمكن له هذا العمر الطويل؟..... ٣٦٠
٢ـ كيف اكتمل إعداد القائد؟..... ٣٦٦
٣ـ لماذا لم يظهر القائد؟..... ٣٧٢
٤ـ لماذا غاب المهدي (عج)؟..... ٣٧٧
البحث الخامس: ما هي علائم ظهوره؟..... ٣٧٨
البحث السادس: الأمور التمهيدية لظهور الإمام..... ٣٧٩
* **الفصل التاسع عشر: إيمان أبي طالب عليه السلام**..... ٣٨٣
المبحث الأول: الاستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام..... ٣٨٧
الدليل الأول : شعره الدال على إيمانه..... ٣٨٨
الدليل الثاني : سيرته وإخلاصه للرسول والرسالة..... ٣٨٩
الدليل الثالث : وصيته عند موته..... ٣٩٤
الدليل الرابع : دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالخير والمغفرة وشفاعته له..... ٣٩٥